وَيَبْقَى اللّٰه حِين لا يَبْقَى أَحَد

المقدمة

"وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ".

فتنة الضراء تلجيء الإنسان إلى التضرع واللجوء لصاحب القوة والقدرة، فيسارع من مسه الضر بالدعاء والتضرع لينجيه من بيده الملك والملكوت. ولكن بما أن النسيان من طباع الإنسان فمعظم بني آدم إذا ما زال عنه الضر، وتحول إلى العافية نسي شكر المنعم وبارزة بالعصيان، بل وبادر بكفران النعم وصرف شكره لغير الله وصرف قلبه عن الله . عز وجل . إلى شركاء لا يملكون له ضراً، ولا نفعاً.

عناصر الموضوع

أولاً: الفطرة التي فطر اللهُ الناسَ عليها

ثانيًا: الإنسان في حال العسر والتضييق فطرته تدله علي

ربه سبحانه تعالى

ثالثًا: عابد في الضر جاحد معرض في الخير.

رابعًا: عند العطاء نسي ذلك الضر الذي دعا الله لأجله:

خامسًا: العبد ينسب اَلْفَضْلَ لِمَا هُوَ فِيهِ مِنْ نِعَمٍ للأسباب

سادسًا: العبد ينسى ربه وقت الفرح والسعة.

سابعًا: لما تجلّت لهم عطاياه نسو ربهم .

ثامنًا: الله –عز وجل– يبقى حين لا يبقى أحد:

تاسعًا: لما حدث الأمان والأمن، وأتى العوض من الله عز وجل.

عاشرًا: المحن تبين حقيقة صدق إيمان العبد.

أحد عشر: في حال الرخاء كن من الشاكرين

اثنى عشر: لا يوجد شيء أجمل من تزيين القلب لله عز وجل:

ثالث عشر: ما الذي يشغل خاطر العبد وقت الضر؟

أولاً: الفطرة التي فطر اللهُ الناسَ عليها

الابتلاء سُنَّةٌ ربانية ماضية، ونحاول في هذا الموضوع

الكشف عن طرفٍ من الحكمة في نزول البلاء ومنهج

التعامل معه في القرآن، من خلال تسليط الضوء على

أحد المواطن التي تعرَّض فيها القرآنُ لذكر ابتلاء حَلَّ

بأحد الأقوام السابقة، والوقوف مع هذا الموطن عدّة وقفات

تحليلية.

رُبُوبِيَّةُ اللَّهِ –تَعَالَى– قَدْ أَثْبَتَهَا –سُبْحَانَهُ– لِعِبَادِهِ وغَرَسَهَا

فِي فِطَرِهِمْ لِيَنْشَئُوا عَلَيْهَا، وَوَهَبَ لَهُمُ الْعُقُولَ لِيَعْقِلُوهَا

وَيَفْهَمُوا بَرَاهِينَهَا، وَأَرَاهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ وَفِي الْآفَاقِ آيَاتِ

رُبُوبِيَّتِهِ، وَلَيْسَ بَعْدَ ذَلِكَ كُلِّهِ إِلَّا الْجُحُودُ وَالْعِنَادُ وَالِاسْتِكْبَارُ

وَمِنْ آثَارِ الْفِطْرَةِ عَلَى الرُّبُوبِيَّةِ:

أَنَّهَا تَظْهَرُ فِي الشَّدَائِدِ، فَيُقِرُّ الْإِنْسَانُ فِي شَدَائِدِهِ وَمَصَائِبِهِ

بِرُبُوبِيَّةِ اللَّهِ -تَعَالَى-، وَيَلْجَأُ إِلَيْهِ -سُبْحَانَهُ-، وَلَوْ كَانَ

يَجْحَدُهَا فِي رَخَائِهِ وَعَافِيَتِهِ، وَيَدْعُوهُ بِقَلْبِهِ وَلَوْ أَنْكَرَ ذَلِكَ

بِلِسَانِهِ عُلُوًّا وَاسْتِكْبَارًا، وَيُقَلِّبُ نَظَرَهُ فِي السَّمَاءِ يَنْتَظِرُ

الْفَرَجَ مِنَ اللَّهِ -تَعَالَى-،

قَالَ اللَّهُ –تَعَالَى–: "وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنْبِهِ

أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا". (يونس: 12)، وَقَالَ تَعَالَى: "وَإِذَا مَسَّ

النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ".(الرُّومِ:33)،وَقَالَ تَعَالَى:

"وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ". (الزُّمَرِ:8)

وَأَمَّا دَلَائِلُ الْحِسِّ عَلَى الرُّبُوبِيَّةِ:

فَمَا يَجِدُهُ الْعَبْدُ مِنْ يُسْرٍ بَعْدَ عُسْرٍ، وَمِنْ فَرَجٍ بَعْدَ كَرْبٍ،

وَمِنْ رَخَاءٍ بَعْدَ شِدَّةٍ. وَفِي الْغَالِبِ أَنَّ حَالَةَ الضَّعْفِ

الْبَشَرِيِّ تَقُودُ الْعَبْدَ إِلَى الدُّعَاءِ وَلَوْ كَانَ مِنْ قَبْلُ مُعَانِدًا

مُسْتَكْبِرًا، وَقَدْ قَالَ فِرْعَوْنُ لِمُوسَى –عَلَيْهِ السَّلَامُ–: "ادْعُ لَنَا

رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لَئِنْ كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ

وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ". (الْأَعْرَافِ: 134)

ثانياً: الإنسان في حال العسر والتضييق

فطرته تدله على ربه سبحانه تعالى

نَعِيشُ سَوِيًّا مَعَ قَوْلِهِ تَعَالَى: "وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَا

رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُوٓاْ

إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦ قُلْ تَمَتَّعْ

بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ". (الزمر: 8)

آية عظيمة تحتاج منا إلى تدبر ونظر وتأمل، للوصول

إلى معرفة مراد الله تعالى.

تمس حياتنا اليومية، مع إننا في السابق لم نلتفت إليها،

ولم نفهم معناها.

في هذه الآية الكريمة الله- سبحانه وتعالى- يبين أن من طبيعة الإنسان وقت الضر بفطرته يلجأ إليه.

لأن فطرة الإنسان تبرز وحيدة حين يمسه الضر؛ يذهب عنها كل أحد؛ فتتجه إلى ربها، وتنيب إليه وحده؛ وهي تدرك أنه لا يكشف الضر غيره.

قال السعدي في تفسيره: يخبر تعالى عن كرمه بعبده وإحسانه وبره، وقلة شكر عبده، وأنه حين يمسه الضر، من مرض أو فقر، أو وقوع في كربة بَحْرٍ أو غيره، أنه

يعلم أنه لا ينجيه في هذه الحال إلا الله، فيدعوه متضرعا

منيبا، ويستغيث به في كشف ما نزل به ويلح في ذلك.

مَا أَعْجَبَ هَذَا اَلْإِنْسَانَ! حِينَمَا تَمُوجُ بِهِ اَلْأَمْوَاجُ، وَتَتُوهُ بِهِ

الطُّرُقُ، وَتَشْتَدُّ عَلَيْهِ اَلْأَزَمَاتُ؛ لَا يَلْجَأُ إِلَّا إِلَى رَبِّهِ وَمَوْلَاهُ؛

فَهُوَ اَلْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ، فَلَا أَحَدَ قَادِرٌ عَلَى إِنْجَائِهِ مِنْهَا

إِلَّا هُوَ، قَالَ اللهُ –جَلَّ فِي عُلَاه–: "قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ

ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَئِنْ أَنْجَانَا مِنْ

هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ * قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُمْ مِنْهَا وَمِنْ كُلِّ

كَرْبٍ ثُمَّ أَنْتُمْ تُشْرِكُونَ". (الأنعام : 63 – 64)

وَلَكِنْ بَعْدَ النَّجَاةِ مِنْ هَذِهِ اَلْكُرُبَاتِ نَجِدُ مِنْهُمِ –وَمَا

أَكْثَرَهُمْ– يَجْحَدُ وَيُشْرِكُ بِاللهِ.

الْآيَاتِ تتحدث عن الْإِنْسَانِ وَعَنِ النَّاسِ، وَهَذَا يَشْمَلُ

الْمُؤْمِنَ وَالْمُلْحِدَ؛ مِمَّا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ جَمِيعَ الْبَشَرِ يَلْجَئُونَ

إِلَى اللَّهِ –تَعَالَى– بِقُلُوبِهِمْ فِي شَدَائِدِهِمْ، وَلَوْ أَنْكَرُوا ذَلِكَ

بِأَلْسِنَتِهِمْ، وَهِيَ ضَرُورَةٌ بَشَرِيَّةٌ فِطْرِيَّةٌ دَلَّ عَلَيْهَا النَّصُّ

وَالْوَاقِعُ.

ثالثاً: عابد في الضر جاحد معرض في الخير

إذا مس هذا الإنسان ضراً بقدر من أقدار الله –عز وجل–

من مرض، فقر،

وخوف

وقوع في كربه،

أو الوقوع في محنه ضيقت إليه هذه الدنيا،

فهو يعلم بفطرته مهما كان دينه.

مهما كان بعده أو قربه عن الله عز وجل، يعلم أنه لن

ينجيه في هذه الحالة إلا الله –عز وجل –.

ولذلك يرجع إلى ربه مضطرا.

يدعوه

ويرجوه

ويستغيث به

حتى يكشف الله عنه بلواه.

ويكشف ما نزل به

ويلح عليه

لأن الإنسان قد فقد الأمل بكل شيء حوله.

وأدرك ضعفه

وأدرك أن هذا الكون له ملك عظيم،

له رب مدبر

قادر على كل شيء

هذا كله يعلمه بالفطرة.

يصمد له

لذلك الله جل جلالة هو الصمد.

تصمد له كل الخلائق بالفطرة.

يرجعون لمن هو أقوى ولمن هو أجدر.

ولذلك لما الإنسان بفطرته يتعامل مع ربه وقت الضر

فيرجع له.

رابعاً: عند العطاء نسي ذلك الضر الذي

دعا الله لأجله

لكن هل هذا الرجوع هو رجوع حقيقي؟

رجوع حقيقي بقلب صادق،

ومتيقن بأن الله –عز وجل– الذي قدر عليه

وهو الذي يكشف ضره

ويحوله من البلاء إلى العافية.

هل هذا تصديق حقيقي أو رجوع حقيقي؟ لا، ليس رجوع

حقيقي سيتبيّن لنا حال الأغلبية من البشر، عند العطاء

ينسى العبد فضل الله عليه.

في قوله تعالى: "ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو

إِلَيْهِ مِن قَبْلُ". (الزمر: 8)

النسيان صفة بارزةً في الإنسان، فلقد نوّه القرآن الكريم

عن الحالة التي تعتري هذه المخلوق.

قال ابن كثير في تفسيره :

"ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِنْهُ نَسِيَ".

أي: في حال الرفاهية ينسى ذلك الدعاء والتضرع.

يعني: خَوَّلَهُ بمعنى أعطاه نعمة منه –تبارك وتعالى،

قال: نَسِيَ

نسي ماذا؟ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ

نسي ذلك الضر الذي دعا الله لأجله، ومر كأنه ما

أصابه ضر، واستمر على شركه.

وقال ابن جرير –رحمه الله، يدعو ويرفع يديه ويلح يا

رب ويا رب ويا رب، فإذا حصل له المطلوب بعد ذلك

ينسى ويترك هذه الضراعة والدعاء الذي كان يلازمه،

فهذا وصف مذموم، فالعبد يتعبد لله ويتقرب إليه بالدعاء

دائماً، فيتعرف إليه بالرخاء وليس في الشدة فقط،

وبعضهم يقول: نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ يعني:

نسي الضر الذي أصابه وكان يدعو بسببه ربه -تبارك

وتعالى، وبعضهم يقول: نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ

يعني: نسي ربه، يعني ترك عبادته وطاعته والتقرب إليه.

اَلْإِنْسَانَ -فِي اَلْغَالِبِ- عِنْدَ نَجَاتِهِ، أَوْ قَبْلَ نُزُولِ اَلْكَرْبِ

فِي سَاحَتِهِ يَتَجَاوَزُ حُدُودَهُ؛ خَاصَّةً فِي لَحَظَاتِ صِحَّتِهِ

وَثَرَائِهِ وَسَعَادَتِهِ وَأَفْرَاحِهِ وَعِزِّهِ وَارْتِفَاعِهِ؛ فَيَنْسَى فِيهَا رَبَّهُ -

جَلَّ وَعَلَا–، وَيَتَكَبَّرُ عَلَى مَنْ حَوْلِهِ.

فكم مُرضَ من مريض !

وكم ابتلي من مبتلى!

وكم اشتدت الكربات على مكروب!

فدعا ربه حينها: إنْ ربه شفاه، أو عافاه من بليته، أو

فرج كربته أن يتوب، ويعود فيجاب دعاؤه، ثم يعود إلى ما

كان عليه.

والمصيبة الأعظم من هذه: أن بعض الناس قد تُطيف به

المصائب من كل جانب، ويتتابع عليه الابتلاء؛ فتراه

يذهب يمنة ويسرة، ويتصل بهذا، ويستشف بذاك، وينسى

التعلق بالله !لا شكاً في قدرة الله، ولكن ضعف الإيمان،

والثقة بما في أيدي الخلق.

الذي أعطاك في السابق

والذي فرج عنك

والذي يسر لك

بعد ما كنت في ضيق، وفي كربه، إنما هو الله –عز

وجل–.

بأن كشف ما بك من الضر والكربة.

قال تعالى: "نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِن قَبْلُ". (الزمر:8)

وهذه طبيعة الإنسان وقت الضيق والمرض.

يرجع لله ويسأله ويستغيث فيه،ثم إذا فرج عنه سوف

ينسى.

ينسي المنعم

الذي انعم عليه

الذي أعطاه

ينسى كيف عاملة

ينسى كيف لطف به

نسى ذلك الضر الذي دعا الله من أجله.

ومر كأن لم يكن مر بضر، ولم تكن عنده محنه.

كأنك ما افتقرت ولا استغثت يقينا بالله –عز وجل– الذي

كل الأمر بيده ،والذي بيده أن يكشف ضرك ويفرج عنك،

نسى معاملة الله –عز وجل– له.

نسى الله عز وجل أنه يعطيه من النعم الكثيرة، وليست

نعمه واحد.

"وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ

تَجْأَرُونَ". (النحل : 53)

هذا النسيان يجعله لا يحقق الشكر بعد العطاء.

بمعنى الذي ينسى لا يشكر ربه.

الذي ينسى يمكن يشكر غيره أكثر من شكره لربه.

خامسًا: ينسب اَلْفَضْلَ لِـمَا هُوَ فِيهِ مِنْ نِعَمٍ للأسباب

وهذا الَّذِي يَعِيشُ دُونَ مَنْهَجٍ، وَدُونَ هُدًى أَوْ إِيمَانٍ يَنْسَى

رَبَّهُ فِي سَعَادَتِهِ، ثُمَّ يَلْجَأُ إِلَيْهِ فِي كَرْبِهِ، وَلَكِنَّ اَلْمُصِيبَةَ أَنَّهُ

إِذَا أَنْجَاهُ اللهُ مِنْهَا نَسِيَ رَبَّهُ -عَزَّ وَجَلَّ- وَادَّعَى أَنَّ النَّجَاةَ

مِنْ ذَلِكَ الضُّرِّ اَلَّذِي أَصَابَهُ إِنَّمَا كَانَتْ بِأَسْبَابٍ تَعُودُ

لِعَقْلِهِ وَذَكَائِهِ وَحِنْكَتِهِ وَفِطْنَتِهِ وَتَخْطِيطِهِ؛ فَسُرْعَانَ مَا عَادَ

إِلَى غَيِّهِ الْقَدِيمِ، وَضَلَالِهِ الْمُبِينِ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: "قُلِ اللَّهُ

يُنَجِّيكُمْ مِنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنْتُمْ تُشْرِكُونَ". (الأنعام:64)

"وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ".

أي: ليضل بنفسه، ويضل غيره.

الله –سبحانه وتعالى – هو الذي يسّر هذه الأسباب

ومن وراء هذه الأسباب عطاء الله–عز وجل–.

ولكن هذا الإنسان لا يرى إلا الأسباب.

مثل: الطبيب، الدواء، الواسطة، نفسه، المال...

أو اشخاص وينسى الله –عز وجل –.

فيرى هذا الطبيب المختص الذي عرف الشيء الذي حار

فيه الأطباء.

ويري هذا الدواء الذي نفع.

ويري هذه الشفاعة (الوساطة) التي حركت الأمور المتوقفة.

وجرت بها أموره، وتيسرت بها أحواله

وتغير الحال إلى أحسن حال.

بعد ما كان مريضاً فقد شفى من المرض.

بعد ما كان في فقر أصبح في غنى في سعة من الدنيا.

سادسًا: العبد ينسى ربه وقت الفرح والسعة

نسى من أعطاه ومن المتفضل عليه حوله أسباب كثيرة،

ولكنه لا يرى المسبب الأول، وهو الله –عز وجل–.

فاغتر بمن حوله، وأخذ يشكر الناس.

أو ينسب اَلْفَضْلَ لِمَا هُوَ فِيهِ مِنْ نِعَمٍ إِلَى نَفْسِهِ،

وقد يكون مغروراً ومعجب بنفسه.

قَالَ تَعَالَى: "فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ

نِعْمَةً مِنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَكِنَّ

أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ". (الزمر : 49)

ويرى أن نفسه وحاله وخبرته وبذله هو الذي أوصله إلى

ما يريد.

أو وقت البلاء يشعر أنه كان صابراً، واستطاع هو بنفسه

أن يثبت في المصيبة. أي يرجع الفضل لنفسه، وينسى

شكر ربه.

ليس فقد مجرد نسيان بل هو أكثر من ذلك قال تعالى:

" وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا"

الأنداد لما الله يعطينا أمر كان بعيد المنال.

ونحن ندعو الله – عز وجل–، وندعو وندعو، ونقول يا رب، ثم تحدث أحداث كثيرة، و مرت أيام وأسابيع، إلى أن يفرج الله عز وجل ما نحن فيه، ويعطينا ما تمنينا أو يرزقنا من واسع فضلة، فقد أتى هذا الرزق في الوقت المناسب، ثم بعد كل هذا ننسب هذا الفضل والعطاء والرزق إلى أمور وأسباب.

ونقول لولا الوساطة الفلانية ما تيسر الحال.

ولولا المدرس الفلاني لم أنجح في الامتحان.

لولا المال الذي يملكه لم يدفع مصاريف، ولم يدفع أجار

المنزل ورسوم المدرسة، يشعر أن أمواله مصدر عزته.

لو سألت نفسك

أين المال لما يكون الإنسان حبيس الفراش عند المرض؟

وأين المال عندما لا أحد يعلم كيف يسكن الألم الذي

تشعر به؟

وأين المال عندما يكون البيت يغلي بالمشكلات؟

أين الحلول التي تأتي بها هذه الأموال؟

فَالْمُؤْمِنُ يَنْبَغِي أَنْ يَتَعَلَّقَ بِاللهِ، وَلَا يَتَعَلَّقُ بِمَخْلُوقٍ، وَلَا بِقُوَّةِ الْعَبْدِ وَلَا بِعَمَلِهِ؛ فَالْقَلْبُ لَا يَتَوَكَّلُ إِلَّا عَلَى مَنْ يَرْجُوهُ؛ فَمَنْ رَجَا قُوَّتَهُ أَوْ عِلْمَهُ، أَوْ عَمَلَهُ، أَوْ حَالَهُ، أَوْ صَدِيقَهُ، أَوْ قَرَابَتَهُ، أَوْ شَيْخَهُ، أَوْ مُلْكَهُ، أَوْ مَالَهُ، غَيْرَ نَاظِرٍ إِلَى اللهِ؛ كَانَ فِيهِ نَوعُ تَوَكُّلٍ عَلَى ذَلِكَ السَّبَبِ، وَمَا رَجَا أَحَدٌ مَخْلُوقًا أَوْ تَوَكَّلَ عَلَيْهِ؛ إِلَا خَابَ ظَنُّهُ فِيهْ.

سابعاً: لما تجلّت لهم عطاياه نسو ربهم

وكل ذلك نتيجه ضعف إيمانه، وَسُرْعَةِ تَقَلُّبِه، سُبْحَانَ اللهِ

عِنْدَمَا كُنْتُمْ فِي كَرْبِكُمْ لَمْ تَجِدُوا إِلَّا اللهَ -عَزَّ وَجَلَّ-؛

لِأَنَّكُمْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ اَلْيَقِينِ أَنَّهُ -عَزَّ فِي عُلَاهُ-

هُوَ اَلْوَحِيدُ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَدْفَعَ اَلْكُرُبَاتِ عَنْكُمْ،

وَيُزِيلَ اَلْوَحْشَةَ مِنْ صُدُورِكُمْ،

وَاَلْأَحْزَانَ مِنْ قُلُوبِكُمْ،

وَيَهْدِيَكُمْ وَيُصْلِحَ بَالَكُمْ،

وَيَقْضِيَ دُيُونَكُمْ،

وَيَزِيدَ أَمْوَالَكُمْ، وَيَشْفِي مَرْضَاكُمْ؛

فَتَطِيبُ بِفَضْلِهِ وَبِنِعْمَتِهِ خَوَاطِرُكُمْ،

وَتَنْقَشِعُ غُيُومُ اَلْأَحْزَانِ عَنْكُمْ اَلَّتِي كَانَتْ تُكَدِّرُ صَفْوَ

حَيَاتِكُمْ؛ فَأَصْلَحَ بِرَحْمَتِهِ أَحْوَالَكُمْ،

وَلَكِنَّ فَرِيقًا مِنَ النَّاسِ يَظُنُّونَ –مِنْ جَهْلِهِمْ بِقُدْرَةِ رَبِّهِمْ–

أَنَّهُمْ إِذَا نَجَوا مِنَ اَلْكَرْبِ فَإِنَّهُمْ يَمْلُكُونَ اَلْقُدْرَةَ عَلَى أَلَّا

يَقَعُوا فِي كَرْبٍ آخَرَ غَيْرِهِ، وَيَظُنُّونَ أَنَّهُمْ سَيَأْخُذُونَ فِي

الْمَرَّاتِ الْقَادِمَةِ اَلْحَذَرَ وَاَلْحِيطَةَ؛

حَتَّى لَا يَقَعُوا فِي الْكُرُبَاتِ مِنْ جَدِيدٍ؛ فَاسْتَغْنَوا –بِظَنِّهِمُ

الْكَاذِبِ– عَنْ رَبِّهِمْ، وَصَدَقَ اللهُ: " كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ

لَيَطْغَى". (العلق : 6)

فَهَلْ نَسُوا أَمْ تَنَاسَوا أَنَّهُمْ كَانُوا قَدْ دَعَوْا اللهَ فِي كَرْبِهِمْ

بِكُلِّ ذُلٍّ، وَحُسْنِ تَضَرُّعٍ وَخُضُوعٍ؛

أَنْ يُنْجِيَهُمْ بِرَحْمَتِهِ مِنْ هَذِهِ الْكُرُبَاتِ،

وقد تكون بينَ الحاجةِ والفقرِ، وهمومٍ تكسرُ الظهرَ،

أطفالٌ يشتكونَ الجوعَ، وصاحبُ دَيْنٍ مفجوعٌ،

وإيجارٌ قد حلَّ أوانُه، أصبحَ أسيراً بينَ أحزانِه،

عندها تذكّرَ الغنيَ الرزاقَ، ومن له خزائنُ السماواتِ

والأرضِ، بينَ الآلامِ التي لا تُطاقُ،الظروف التي تغيرت

الى الأسوء أو مرضٌ جعلَ الحياةَ مُرةَ المذاقِ، وقفَ

الأطباءُ أمامَه عاجزينَ، ويَئِسَ المريضُ إلا من رحمةِ ربِ

العالمينَ، فهو يدعوه قائماً وقاعداً ومنطرحاً على سريرِه:

" وَإِذَا مَسَّ الإِنسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا".

(يونس : 12)

فدعا وألحَّ وعاهدَ اللهَ عهداً غليظاً: "وَمِنْهُم مَّنْ عَاهَدَ اللّهَ

لَئِنْ آتَانَا مِن فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ".

(التوبة : 75)

وَوَعَدُوهُ أَنْ يَكُونُوا بَعْدَ النَّجَاةِ مِنْ اَلْعَابِدِينَ الشَّاكِرِينَ لَهُ؟!

وإذا باللهِ علّامِ الغيوبِ، يستجيبُ دعاءَ المكروبِ، فيُكشفُ

البلاءُ، ويُرمى الدواءُ، وتحلو الحياةُ، فماذا كان؟

" فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرٍّ مَّسَّهُ

كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ". (يونس : 12)

ثامناً: الله-عز وجل- يبقى حين لا يبقى أحد:

وهناك شاهد آخر في القرآن يوضح المعنى بصورة

أخرى عن الحالة التي تعتري الإنسان وقت إصابته

بالضر:

ومن أكثر هذه الحالات، هي تلك الحال التي يتناسى فيها

العبد فضل خالقه عليه، ويعود إلى سالف حاله التي كان

عليها، يقول تعالى: " فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ

مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ".

(العنكبوت: 65)

وقال تعالى: "وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنسَانُ كَفُورًا".

(الاسراء:67)

بينَ صفاءِ السماءِ، وسكونِ البحرِ، تجري السفينةُ في ريحٍ هادئةٍ، استرخى الرُّبّانُ، وأحسَ الناسُ بالأمانِ، فما أجملَه من منظرٍ بديعٍ: "هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ".

(يونس: 22)

وبينما هم على ذلك: " جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ

الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ". (يونس : 22)

ريحٌ تحملُ الرجالَ، وموجٌ كالجبالِ، اضطربَ الركابُ،

وفقَدَ السيطرةَ القبطانُ، وأصبحت السفينةُ كالريشةِ في

مهبِ الريحِ: "وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ". (يونس : 22)

يقول الشيخ السعدي:

ومن رحمته الدالة على أنه وحده المعبود دون ما سواه

أنهم إذا مسهم الضر في البحر فخافوا من الهلاك لتراكم

الأمواج ضل عنهم ما كانوا يدعون من دون الله في حال الرخاء من الأحياء والأموات، فكأنهم لم يكونوا يدعونهم في وقت من الأوقات لعلمهم أنهم ضعفاء عاجزون عن كشف الضر صرخوا بدعوة فاطر الأرض والسماوات الذي تستغيث به في شدائدها جميع المخلوقات وأخلصوا له الدعاء والتضرع في هذه الحال.

لما يحدث الضر كل أحد يبتعد عنك، وأنت تعلم أن كل الذين حولك لا يستطيع أن ينجيك، ولا تستطيع أن يخرجك مما أنت فيه.

الضيق والخوف والشدة والحيرة والوساوس، ولما تضيق

عليك حياتك في الليل والنهار أو أفكار لا تستطيع أن

تدفعها بينك ونفسك، كل من حولك لا يستطيعون

مساعدتك. ولا يصلون إلى إحساسك

ولا أحد يشاركك شعور الألم.

ولا أحد يستطيع الإحساس بألمك.

ولا أحد يستطيع أن يشاركك البلاء.

ولا أحد يشاركك حيرتك

أنت فقط الذي تمر بهذا المحنة، وكل أحد بالنسبة إليك،

لم يعد فيه وصل بينك وبينه.

" ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ". (الإسراء:67)

ما عاد إلا الله سبحانه وتعالى.

ولم يبق إلا الله سبحانه وتعالى.

فعلا، الله يبقى حين لا يبقى أحد.

يبقى الله في عقلك، وفي قلبك

الله هو الباقي –سبحانه وتعالى–.

لما كل الأسباب، وكل الأشخاص. لا يستطيعون تغيير ما

أنت فيه في حال الضر. يبقى الله هو الأول والآخر

والظاهر والباطن جل جلاله، فليتيَّقنَ الناسُ أنه لا يُنجيهم من

هذا الضُرِ، إلا مَن يُجيبُ دعوةَ المضطرِ:

قال تعال: "فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ". (الإسراء:67)

عندها هدأتِ الريحُ، وتلاشت الأمواجُ، وعادَ الهدوءُ مُخيماً

على المكانِ، فماذا كانَ؟ " فَلَمَّا أَنجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي

الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ". (يونس : 23)

فَيُقَالُ لِأُولَئِكَ الَّذِينَ مَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ:

مَنِ الَّذِي يُنْجِيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ اَلْبَحْرِ إِذَا تُهْتُمْ فِيهِ وَضَلَلْتُمْ الطَّرِيقَ فَتَحَيَّرْتُمْ، ثُمَّ زَادَ اَلْكَرْبُ بِحُلُولِ الظَّلَامِ عَلَيْكُمْ؛ فَلَمْ تَعُودُوا تَعْرِفُونَ لِلطَّرِيقِ سَبِيلًا؟

عِنْدَئِذٍ يَعُودُ اَلْعَاقِلُ مِنْكُمْ لِعَقْلِهِ، وَيَثُوبُ الضَّالُّ إِلَى رُشْدِهِ.

لَقَدْ عَلَّمَهُ التَّيَهَانُ فِي الصَّحرَاءِ، وَالتَّيَهَانُ فِي اَلْبَحْرِ أَنْ يُخْلِصَ دِينَهُ للهِ؛ فَلَا مَلْجَأَ وَلَا مَنْجَى مِنْهُ إِلَّا إِلَيْهِ. فإذا فرج عنهم فعادوا إلى ما كانوا عليه، فعجيبٌ أنت أيها

الإنسانُ: "وَإِذَا مَسَّكُمُ الْضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلاَّ إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الإِنْسَانُ كَفُورًا".

(الإسراء:67)

قال تعالى: "فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ". (الإسراء:67)

فلما نجاهم إلى البر أعرضتم هنالك تغيَّرت أحوالُه.

وكثُرت أموالُه، رزقَه اللهُ –تعالى– من حيثُ لا يحتسبْ،

فأصبحَ حديثَ الزمانِ، ومن يُشارُ إليه بالبنانِ، فماذا كان؟

" فَلَمَّا آتَاهُم مِّن فَضْلِهِ بَخِلُواْ بِهِ وَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعْرِضُونَ".

(التوبة : 76)

تاسعًا: لما حدث الأمان والأمن، وأتى العوض من الله -عز وجل

إِنَّ هَذِهِ اَلْكُرْبَةَ الَّتِي يَعْرِفُ فِيهَا صاحب الفطرة رَبَّهُ،

وَيَؤُوبُ فِيهَا إِلَى رُشْدِهِ، وَيُقْلِعُ عَنْ ذَنْبِهِ بَعْدَمَا حَلَّتْ بِهِ

اَلْكُرُبَاتُ، وَنَزَلَتْ بِهِ اَلْهُمُومُ وَالنَّكَبَاتُ، وَأَحَاطَتْ بِسَاحَتِهِ

اَلْمَصَائِبُ وَاَلْأَحْزَانُ وَاَلْوَرَطَاتُ، وَضَاقَ بِسَبَبِهَا صَدْرُهُ،

وَخَارَتْ قُوَاهُ، وَوَقَعَ فِي اَلْمُشْكِلَاتِ وَالنَّكَبَاتِ،

فَلَيْسَ لَهُ إِلَّا رَبُهُ حَقِيقَةٌ يَعْرِفُهَا كُلُّ مَنْ وَقَعَ فِي هَمٍّ أَوْ غَمٍّ

أَوْ وَرْطَةٍ أَوْ ضِيقِ يَدٍ أَوْ صَدْرٍ، أَوْ كَرْبٍ كَانَ عَلَيْهِ مِثْلَ

اَلْجِبَالِ؛ فَيُنْجِيهِ مِنْهَا رَبُّهُ.

وتغير الحال من الضيق إلى السعة ،أعرض هذا

الإنسان، وانشغل بالنعمة عن المنعم.

هذه الآية الكريمة تشعرنا بالحياء من الله على أيامٍ عابرات

كنّا ملازمين للدعاء في الأحوال الصعبة حتى إذا

استجيب لنا، نسينا إحسانه وفضائله.

والفطرة تشهد أن غير الله لا يكشف الضر، وفي حال أن

الله – عز وجل –، يعطيه النعمة، ويملكه إياها بما

تقرّض بها عينه، القلب السليم لا ينسى كرم الله معه،

وكل عبادة يقوم بها يزداد شكراً لله –عز وجل–، ويزداد

حباً لعطاء الله وحياءاً منه.

وتقول في نفسك يا رب إني لا أستحق.

ولكنك يا رب أعطيتني، ولم أشكرك شكراً يليق بك.

ولكنك كنت الكريم الجواد تعطي بغير حساب، ولم

تآخذني بأخطائي.

دائما العبد الذي عنده الفطرة السليمة.

والقلب النقي لا ينسى من أعطاه ومن يسر له.

لكن صاحب القلب المريض ينسى.

ولا تزيده هذه النعمة شيء في إيمانه.

ولا يعظم الله، ولا يزيد حب لله سبحانه تعالى.

من أجل ذلك احتفظ بذاكرة قوية للمحن التي فرّجها الله

عنك لتحمد الله، ولتعلم أن المحن لا تدوم.

كلما مسك الضر

علينا أن ننتبه لأنفسنا

وعلينا بصدق الإنابة إلى الله –عز وجل– وكثرة الدعاء.

وتعمل من الطاعات ما تبيّن فيه حاجتك لعطايا مولاك.

وأن تكون في مواطن رضا الله ومحابه.

ولتنال القرب من الله عز وجل.

سيرحمك في هذا الضر، ولا يطيله عليك.

ويصرفه سبحانه وتعالى عنك بقدرته

ويبدلك خيرا مما كنت عليه.

عاشرًا: المحن تبين حقيقة صدق إيمان العبد

المحن تبين حقيقة صدق إيمان العبد وصدق ادعائك

تحب الله، وتريد مرضاته.

لذلك المحن أصلا تظهر حقائق هذا الإنسان.

يعني يتضح هل أنت تعرفه في الضراء والرخاء.

وإلا أنت فقط في الضر تعرف الله –عز وجل –، وفي

الرخاء تنساه.

المحن تبين حال هذا العبد وحال إيمانه.

أصابتنا في حياتنا عراقيل عوائق وشدائد الحياة لا تمشي

على، وتيرة واحدة.

" إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ ۚ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ

نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ

شُهَدَاءَ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ". (آل عمران: 140)

علينا أن نستوعب أنه مثلما عرفت ربك في البلاء يجب

أن لا تنساه في الرخاء. تكون مع الله– عز وجل –، ما

بين الصبر والشكر.

لكن الذي لا يستوعب الدرس من الابتلاءات، يصل إلى

درجة أنه يفقد كل الأسباب ،ثم يجعلك الله تجرب الناس،

ولكن لا الناس لا يعطونك إلا ما أراد الله.

وحتى لما يمنعون عنك لا يستطيعون منعك إلا ما أراد الله

أن يمنع عنك.

وهذا لا بدَّ أن يكون يقينا راسخا في قلبك.

أحد عشر: في حال الرخاء كن من الشاكرين

واحمد الله إذا كنت في سعة، وفي طاعة، وفي أيام فضيلة

مباركة الله – عز وجل –، يسبغ بها على عباده من

عطاياه ورحماته ونفحاته.

فاحمد الله عز وجل، واجعل أيام الدنيا شاهد لك عند الله.

إنك كنت تريده سبحانه وتعالى، وتريد عطاياه

وتريد أن تصل إلى أن يقبلك الله – سبحانه وتعالى –.

القبول في صلاتك و طاعاتك و صدقاتك أعمال البر

هذا هو همك.

وأنتم ذاهبين للصلاة اسألوا الله أن يجعل في قلوبكم نوراً،

وفي سمعكم نوراً. تذكروا أنكم محتاجون إلى أمور كثيرة.

محتاجه هداية في الطريق والحياة والوقت والعلاقات.

محتاجين من الله أن يصلح قلوبنا.

ويصلح لي علاقتنا به، ويصلح علاقاتنا مع الناس

محتاجين من الله ترميم رباني داخلي.

أمور كثيرة يجب أن تنصلح، ولكن من أين أبدأ؟

البداية تكون بالدعاء

الملك الذي يملك قلبك، ويملك خزائن السموات والأرض.

يملك كل حاجة تريدها.

يملك أن يصلح لك كل أمورك.

يملك أن يرمم كل الأشياء التي انكسرت في حياتك.

يملك هدايتك

يملك أن يخرجك من الحيرة.

يملك أن يفتح لك أبواباً كثيرة.

الخير والبركة، والطاعة وأبواب الحب والقرب منه.

اثنى عشر: لا يوجد شيء أجمل من

تزيين القلب لله ـ عز وجل ـ

وهو أن يرى الله قلبك، وهو محتاج إليه، ومفتقر له وناظر إليه.

ومتعلق به في الشدة والرخاء.

وأنت تسأله – سبحانه وتعالى–، أن يعينك أن تكون في الرخاء شاكراً، وفي الشدة صابراً.

وتسأله أن يرزقك اليقين والعافية.

وإذا أتى العسر تسأله اليسر.

وتعلم أن اليسر بيده، وهو هين عليه.

ويأتيك بأسبابه من حيث لا تحتسب.

الله –سبحانه وتعالى–، هو الذي أعطاك هذه الفطرة، وهذا العقل، إذا انتفعت بها ثبتك الله. سبحانه وتعالى. على الحق، وأعانك على كل خير.

ثالث عشر: ما الذي يشغل خاطر العبد وقت الضر ؟

لابد أن نعلم أن العبد المؤمن الذي تحقق اليقين في قلبه

إذا أصيب بالضر.

لا يكون همه كيف تكون الحلول لمشكلته؟

أو كيف سيأتي الفرج؟

بالنسبة إليه هذا ليس أكبر همه.

لكن الذي يشغله كيف يكون على مراد ربه، وهو في

جوف هذه المحنة.

فهذا العبد يتعبد الله عز وجل بالمحنة، ويكون صابراً،

وكذلك لا ينساه وقت السعة، فيكون ذاكراً لله في الحالتين.

ويُرجع الفضل إلى ربه –سبحانه وتعالى–.

وشكر العبد المؤمن لله –سبحانه وتعالى–، ليس بالكلام

لأن الله –عز وجل– يحب الشكر العملي.

وهو ليس أن تقول الحمد الله وانتهي الأمر.

لو نظرنا عندما يفرج الله. عز وجل. عنا، كثيراً ما

نتكلم، ونقول نحن فعلنا كذا وكذا.

وفلان فعل لي كذا وكذا.

المفروض لا تتكلم عن أحد، ولا تفصل في الأسباب.

لأننا نحن كثيرا ما نفصل في الأمور.

في الحكاية الوحدة التي تحصل لنا من الأول إلى الآخر،

ونحن نفصل في تفاصيل كثيرة ،كلها تفاصيل فيها أسباب

وناس ونفسي أنا.

أنما الأصل لا تتكلم على فلان وفلان.

بل اثني علي ربك

حياء منه

وتوقيرا له

وتعظيما له

هنا نقف أمام عطايا الله.

وعظمة كمال أفعاله معنا –سبحانه وتعالى–.

"إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا". (الإنسان : 3)

لان الإنسان إما شاكراً، وإما كفوراً.

الله يبين لنا لا يوجد صفة ثالثة.

إما شاكراً وإمّا كفوراً

فالذي يشكر يعلم أن الله –عز وجل–.

هو المعطي

وهو الذي حملك

وهو الذي رأف بحالك

وهو الذي دفع عنك ما يضرك.

هو الذي أتى بما ينفعك.

هو الذي قرب لك الخير.

وصرف عنك الشر، ودافع عنك

الإنسان بطبيعته ينسى ويكفر ولا يشكر الله سبحانه

وتعالى. " وَكَانَ الْإِنسَانُ كَفُورًا ". (الإسراء : 67)

قال: الشيخ السعدي –رحمه الله –

وهذا من جهل الإنسان وكفره فإن الإنسان كفور للنعم،

إلا من هدى الله فمن عليه بالعقل السليم، واهتدى إلى

الصراط المستقيم، يهديه بالعقل فيعلم أن الله هو الذي

يكشف الشدائد، وينجي من الأهوال هو الإله الذي يستحق

المحبة والتعظيم، وأن نكون مخلصين له في جميع

أعمالنا، وأن يتوجه القلب بكليته واضطراره وحاجته إليه

وحده .

لا شك أن البلايا وتنزُّلها على أهل الأرض مؤمنهم

وكافرهم من سنّة الله في خلقه، وسنة اللهِ لا تحابي أحدًا،

غير أنّ الناس يختلفون من حيث تعاملهم مع الضر

النازل بهم؛ رضًا بقضاء الله أو اعتراضًا، دعاءً وتضرعًا

أو تذمرًا وإعراضًا.

وبحسب تصرّف الإنسان يصير البلاء نعمة أو نقمة،

نعمة للراضي بالقضاء المتوجه إلى الله بالدعاء، فيغفر اللهُ

ذنبَه ويرفع درجاته فيكون خيرًا له، ونقمة للساخط المعاند

المكابر فيهلكه اللهُ مهما أوَى إلى جبال أو أسباب مادية

يحسبها وحدها تعصمه من الغرق في طوفان البلاء

الدنيوي ونيران العذاب الأخروي.

عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله –صلى الله عليه

وسلم–: "إنَّ أبخلَ الناسِ من بخلَ بالسلامِ، و أعجزُ

الناسِ من عجز عن الدعاءِ".

(الراوي : أبو هريرة، المحدث : الألباني، المصدر: صحيح الجامع،

الصفحة أو الرقم: 1519، خلاصة حكم المحدث: صحيح)

جعَلَ اللهُ عزَّ وجلَّ السلامَ تحيَّةَ أهْلِ الإسلامِ، وجعَلَ

جزاءَه عظيمًا؛ فمَن ترَكَه ولم يَبدَأِ الناسَ به فقد فاتَه أجْرٌ

عظيمٌ.

وفي هذا الحَديثِ يقولُ أبو هُرَيرةَ رضِيَ اللهُ عنه:

"إنَّ أبخَلِ الناسِ"، أي: أكثَرَ الناسِ منْعًا للفضْلِ والخيرِ،

"مَن بخِلَ بالسلامِ "، على مَن لقِيَه مِن المؤمنينَ، مَن

يَعرِفُه ومَن لا يَعرِفُه، فلم يُسلِّمْ عليه؛ وذلك لأنَّ السلامَ

جُهدُه لا يُذكَرُ، لكنْ له أجْرٌ كبيرٌ، فمَن بخِلَ به مع عدَمِ

كُلْفتِه، فهو أبخَلُ الناسِ، وكذلك مَن ترَكَ ردَّ السلامِ،

"وأعجَزَ الناسِ"، أي: أضعَفَهم،

"مَن عجَزَ عن الدُّعاءِ"، أي: مَن ترَكَ الدُّعاءَ،

لا سيَّما عندَ الشدائدِ؛ فإنَّ الدُّعاءَ عِبادةٌ للهِ عزَّ وجلَّ، فمَن

ترَكَه كان أعجَزَ الناسِ؛ لِتركِه ما أمَرَه اللهُ به، حيثُ سمِعَ

قَولَ ربِّه: "ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ". (غافر : 60)

فلمْ يَدْعُه مع فاقَتِه وحاجتِه إليه !واللهُ سُبحانه وتعالى لا

يُخيِّبُ مَن سأَلَه واعتمَدَ عليه، فمَن ترَكَ طَلَبَ حاجاتِه مِن

اللهِ تعالى مع ذلك، فهو أعجَزُ العاجزينَ.

وفي الحديثِ: الحثُّ على إلْقاءِ السلامِ على المسلمينَ

والرَّدِّ عليهم.

وفيه: الحثُّ على التَّمسُّكِ بالدُّعاءِ والطَّلبِ مِن اللهِ –عزَّ وجلَّ–. (الدرر السَّنية)

فهل يعجز المؤمن السالك إلى ربه عن دعاء ربه وهو الفقير إليه، إنّ شعور الإنسان بالكفاية والغنى يوقعه في مرض الطغيان: "كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيَطْغَى * أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى". (العلق : 6–7)

ومن رحمة الله أن يُرسِل البلايا ليرجع الإنسان عن غيّه وطغيانه، ويتخلى عن كلّ معبوداته من دون الله وينساها

ولا يلجأ إلّا إلى الله كاشف البلاء وحده سبحانه،

قال –عز وجل–: "قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ". (الأنعام : 40–41)

إنه لا ينفع الإنسانَ حين تَسَلُّطِ البلاء وشيوع البأساء إلّا الدعاءُ والتضرعُ والتودّد، لا الجحود والعصيان والتمرد؛

فإنه لا حول للإنسان ولا قوة إلّا بالله

لابد من معرفة أن حتى الأحداث التي تحدث لنا.

يُضيّق علينا بعض أمور

من أجل أن نرجع له.

من أجل أن نستغيث به.

من أجل أن نبقى في دائرة الحاجة له.

في دائرة الطلب

ونعلم أنه لا ننال ما عند الله من العطايا إلا بطاعته.

والطاعة تورث البركة والزيادة

فهنا تكون الإجابة الخاصة لهؤلاء المؤمنين المتقين

الذين يؤدون حق الله في كل طاعة يقبلون بها على الله

– سبحانه وتعالى–.

وفي كل صدقه تمدون أيديهم بها.

وكل شعور يحدث في بداخلهم

يعلمون أن الله –عز وجل– مطلع عليه.

وحتى إذا كانت نيات وإرادات فهي ترفعهم عند الله عز

وجل.

وإليكم بعض الوسائل التي تعين بعد توفيق الله على

النجاة من الكرب ومنها:

1) بَذْلُ الْجُهْدِ بِزِيَادَةِ الْإِيمَانِ مِنْ خِلَالِ فِعْلِ الطَّاعَاتِ وَتَرْكِ الْمُنْكَرَاتِ.

2) الثِّقَةُ وَاليَقِينُ بِأَنَّ اللهَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ، وَأَنَّهُ سَيُفَرِّجُ هَمَّهُ وَكَرْبَهُ.

3) حُسْنُ التَّوَكُّلِ عَلَى اللهِ، وَتَفْوِيضُ الْأَمْرِ إِلَيْهِ.

4) أَدَاءُ الصَّلَاةِ المَفْرُوضَةِ فِي وَقْتِهَا، وَالْإِكْثَارُ مِنْ صَلَوَاتِ النَّوَافِلِ.

5) اَلْإِكْثَارُ مِنْ تِلَاوَةِ القُرْآنِ وَذِكْرِ اللهِ؛ وَخَاصَّةً التَّسْبِيحَ، وَالتَّحْمِيدَ، وَالتَّكْبِيرَ، وَالتَّهْلِيلَ، وَاَلْحَوْقَلَةَ، وَاَلْاِسْتِرْجَاعَ.

6) كَثْرَةُ اَلْاِسْتِغْفَارِ.

7) اَلْإِكْثَارُ مِنَ الصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ، -صَلَّى اللهُ عليهِ وَسَلَّمَ-.

8) اَلْإِكْثَارُ مِنَ الصَّدَقَةِ.

9) حُضُورُ مَجَالِسِ الذِّكْرِ؛ فَفِيهَا تَتَنَزَّلُ السَّكِينَةُ.

10) اَلْإِكْثَارُ مِنْ دُعَاءِ اللهِ فِي الرَّخَاءِ وَتَدَارُكُ مَا فَاتَ بِكَثْرَةِ ذِكْرِهِ فِي الشِّدَّةِ.

11) التَّوَسُّلُ إِلَى اللهِ بِالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ، الَّتِي عَمِلَهَا الْعَبْدُ مُخْلِصًا للهِ.

12) تَفْرِيجُ كَرْبِ الْآخَرِينَ، قَبْلَ اَلْكَرْبِ وَبَعْدَهُ وَفِي أَثْنَائِهِ.

13) إِحْسَانُ الظَّنِّ بِاللهِ.

14) النَّظَرُ إِلَى مَصَائِبَ غَيْرِكَ؛ فَهَذَا يُهَوِّنُ مِنْ مُصَابِكَ.

15) التَّفَاؤُلُ بِأَنْ يَثِقَ بَأَنَّ النَّجَاةَ بِيَدِ اللهِ. مَعَ الصَّبْرِ وَاِحْتِسَابِ الأَجْرِ وَعَدَمِ التَّضَجُّرِ وَالتَّسَخُّطِ.

16) أَنْ يَنْظُرَ إِلَى الصُّورَةِ الْإِيجَابِيَّةِ لِلْبَلَاءِ فَقَدْ جَعَلَهُ يُكْثِرُ مِنَ الدُّعَاءِ مَعَ الْخُضُوعِ وَالْاِنْكِسَارِ وَالذُّلِّ بَيْنَ يَدَيِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَأَنَّ هَذَا اَلْكَرْبَ ذَكَّرَهُ بِكَرْبِ القِيَامَةِ، فَسُبْحَانَ مُسْتَخْرِجُ الدُّعَاءِ مَعَ البَلَاءِ.

17) أَنْ تُسْلِيَ نَفْسَكَ بَأَنَّكَ لَسْتَ أَوَّلَ مَنْ اِبْتُلِيَ بِهَذَا البَلَاءِ.

18) بَذْلُ الْجُهْدِ لِنِسْيَانِ مَا جَرَى إِذَا كَانَ لَا يُمْكِنُ تَدَارُكُهُ.

19) تَنَاوُلُ حَسَاءِ التَّلْبِينَةِ: لِقَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ –صَلَّى اللهُ عليهِ وَسَلَّمَ–: "التَّلْبِينَةُ مُجِمَّةٌ لِفُؤَادِ المَرِيضِ، تَذْهَبُ بِبَعْضِ الحُزْنِ"، وَسُمِّيَتْ بِالتَّلْبِينَةِ تَشْبِيهًا بِاللَّبَنِ لِبَيَاضِهَا وَرِقَّتِهَا، وَهِيَ حِسَاءُ –أَيْ شُورَبَة– مِنْ دَقِيقٍ أَوْ نُخَالَةٍ، وَرُبَّمَا جُعِلَ فِيهَا عَسَلٌ، وَفِيهَا اِسْتِحْبَابٌ أَنْ يَتَنَاوَلَهَا اَلْمَكْرُوبُ، وَاَلْمَحْزُونُ، وَمَعْنَى مُجِمَّةٌ: أَيْ تُرِيحُ فُؤَادَهُ وَتُزِيلُ عَنْهُ الْهَمَّ.

20) أَنْ يَبْذُلَ اَلْأَسْبَابَ الَّتِي تُنْجِيهِ مِنَ البَلَاءِ مَعَ التَّوَكُّلِ الْخَالِصِ عَلَى اللهِ.

21) عَدَمُ اللُّجُوءِ لِلْأُمُورِ الَّتِي لَا تَنْفَعُ، وَلَا تُنْجِي مِنَ اَلْكَرْبِ، كَالنَّذْرِ فَهُوَ لَا يُغْنِي مِنَ اَلْقَدَرِ شَيْئًا.

22) اَلْبُعْدُ عَنِ النَّدَمِ، وَاَلْمُعَاتَبَةِ لِلنَّفْسِ أَوْ لِلرِّفَاقِ الَّذِينَ قَدْ يَكُونُونَ مِنْ أَسْبَابِ الْبَلَاءِ، فَهِيَ لَا تَنْفَعُ وَلَا تُقَدِّمُ وَلَا تُؤَخِّرُ إِلَّا إِنْ كَانَتِ النَّدَامَةُ نَدَامِةَ التَّوْبَةِ مِنَ الذُّنُوبِ فَهِي وَاجِبَةٌ.

23) اَلْبُعْدُ عَنِ التَّضَجُّرِ وَالتَّسَخُّطِ عَلَى قَدَرِ اللهِ؛ لِأَنَّ فِيهِ اِعْتِرَاضًا عَلَى اللهِ.

24) اِجْتِنَابُ الْحُزْنِ وَالْأَسَى؛ فَهُوَ لَا يُزِيدُ الهَمَّ إِلَّا هَمًّا.

25) اَلْبُعْدُ عَنِ الكَلِمَاتِ التَّشَاؤُمِيَّةِ الَّتِي تَبْعَثُ عَلَى اَلْيَأْسِ وَاَلْقُنُوطِ مِنْ رَوْحِ اللهِ.

26) أَلَّا يَشْكُوَ اَلْخَالِقَ لِلْخَلْقِ؛ فَلَا يُخْبِرُ أَحَدًا بِمَا حَلَّ بِهِ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا مَنْ يَثِقُ بِأَنَّ عِنْدَهُ الْعِلَاجَ بِإِذْنِ اللهِ، مَعَ اِعْتِمَادِهِ الْكُلِّيِّ عَلَى اللهِ.

27) أَلَّا يُخْبِرَ أَهْلَهُ بِمُصَابِهِ، وَخَاصَّةً وَالِدَيْهِ، وَزَوْجَهُ وَأَوْلَادَهُ، فَيُصْبِحَ اَلْجَمِيعُ مَهْمُومًا، فَيَزْدَادُ هَمُّهُ وَكَدَرُهُ؛ فَيَكُونُ عَالَجَ الدَّاءَ بِالدَّاءِ.

28) أَنْ تَعْتَرِفَ بِالذَّنْبِ؛ وَتَعْلَمَ بَأَنَّ مَا تَعَرَّضْتَ لَهُ مِنْ بَلَاءٍ سَبَبُهُ ذُنُوبُكَ وَمَعَاصِيكَ؛ وَتَتُوبَ مِنْهَا.

29) أَنْ تُعِيدَ اَلْحُقُوقَ لِأَصْحَابِهَا، فَإِذَا اِعْتَرَفْتَ بِأَنَّ مِنْ ذُنُوبِكَ أَخْذُكَ أَمْوَالَ غَيْرَكَ فَتُعِيدُهَا؛ لِأَنَّهَا قَدْ تَكُونُ هِيَ سَبَبُ الكَرْبِ، فَقَدْ يَكُونُونَ يَدْعُونَ عَلَيْكَ، فَيَشْتَدُّ كَرْبُكَ.

30) رَفْعُكَ الظُّلْمَ عَمَّنْ ظَلَمْتَهُ بِمَالِهِ أَوْ عِرْضِهِ، أَوْ اِغْتَبْتَهُ، إِنْ كَانَ عَامِلًا، أَوْ مَرْؤُوسًا، أَوْ غَيْرَهُمَا.

31) أَنْ تَتَحَلَّلَ مِمَّنْ اِغْتَبْتَهُمْ، وَسَخَرْتَ بَهِمْ؛ مَا اِسْتَطَعْتَ إِلَى ذَلِكَ سَبِيلًا، أَوْ تَسْتَغْفِرَ لَهُمْ وَتُثْنِيَ عَلَيْهِمْ، فِي الْمَجَالِسِ الَّتِي ظَلَمْتَهُمْ فِيهَا وَاغْتَبْتَهُمْ.

أدعو الله بأسمائه الحسنى

رب العالمين سوف يكرمك ويصلح حالك ويجبر قلبك.

أدعو باسمه الملك –جل جلاله– الذي يملك صلاح قلبك وثباته.

أدعو الله باسمه الكريم

الحي القيوم

الوهاب

الرزاق

الفتاح

الواسع

بيقين أن الله لا يردك.

سترى أثر الدعاء

سوف يصلح أموراً كثيرة

وتنفتح أبواب مغلقة

وتتيسر أمور كانت متعسرة

وسوف تأتيك أكثر من بشاره.

لا تخطر على بالك.

كأن باباً مغلقاً، وانفتح لك.

ولله الحمد من قبل، ومن بعد.

الخاتمة

جاءت آيات القرآن حريصةً على أن تربط العبدَ بربه في السرّاء والضرّاء، وأن تؤكّد له أن اللهَ وحده بيده المرض والشفاء والفقر والرزق ، وأن الأسباب إنما هي من الله وأمره، ونتائجها بقدَر الله وعلمه، فلا يعتمِدِ الناسُ الأسبابَ المادية وحدها، ولا يتواكلوا ويبعدوا عن اتخاذها، بل عليهم أن يتداووا ويبذلوا جهدهم في سبيل ذلك، ثم يتوكلوا على الله ويرجُوه؛ وأن الدعاء من الأسباب الكاشفة للبلاء، وأن الإحجام عنه مانع للعطاء، وأن المؤمن يدعو بالخير لنفسه وللأمة وللإنسانية جمعاء.

وحذَّر القرآنُ من الاستعجال وإلّا حَلَّ بالداعي السوء

والوبال، وبيَّن أنّ نقض العهد ليس من شِيَم العقلاء،

ونسيانَ فضل الله لا يقع فيه الحكماء الفضلاء. وأن

المؤمن المقبل على ربه يدعوه في الرخاء قبل البلاء.

ويستقيم على أمر الله قبل الدعاء ومعه وبعده، فقد قال

تعالى لموسى وأخيه هارون –عليهما السلام–: "قَالَ قَدْ

أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَانِّ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا

يَعْلَمُونَ". (يونس : 89)

أسأل الله أن يجعلني، وإياكم منهم.

أن يجعلنا ممن استجاب لربه -سبحانه وتعالي-.

وأقبل عليه صادقا مخلصا

يرجو رحمته

ويخشى عذابه

ويعظمه

ويخلص له الطاعة

ويقوم ويصوم إيماناً واحتساباً.

المراجع :

- وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا الشيخ خالد سبت

- الاختبارات وشكر الله تعالى لهلال الهاجري

- العلم بالله تعالى لإبراهيم بن محمد الحقيل

- البلاء في القرآن – تأملات من وحي آيات

- قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُمْ مِنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ لصالح بن مقبل العصيمي